لم تمس المنازل المجاورة وأكداس الحطب فوقها، مع أن الجدار ملاصق للجدار، والباب فى مواجهة الباب، التهمت فى دقائق ما أمضى عمرا فى جمعه، ما أنفق عليه ماله كله.

أقسم ألا تطلع عليه شمس النهار التالى فى دراو، خرج هائما على وجهه لا يحمل إلا علبة من الجلد المغربى بها لوح وأقلام وأحبار، قصد راهبا قبطيا فى دير عتيق يقوم عند الحد الفاصل بين الزرع والرمل، نصحه الراهب أن يعكف على تدوين ما تحتفظ به ذاكرته من نفائس، أن يطيل التحديق داخله.

هنا تختلف الروايات.

ثمة من يقول إن رهيف امتثل بالفعل وأنجز كتابة أهم ما قرأه من المخطوطات، غير أن مخطوطا واحدا بقى، أكد له الراهب إنه لن يستعيده كاملا إلا إذا مكث وقتا غير قليل قرب الفتحة الدائرية، أوصاه بالحذر.

فى رواية أخرى أنه لم ينجز أى مخطوط، وأن الراهب طلب منه السعى على قدميه إلى أقرب مكان ممكن من الفتحة وأن يبدأ. بمجرد وصوله سيتيسر أمره وتتضح له السطور والمعانى، معظم القوم مالوا إلى تصديق هذا، خاصة أنهم لم يروا بصحبته أى مخطوط، فقط القلم واللوح والحبر، لكن بعض المصادر أكدت أن من رآه لحظة الكتابة يمكنه أن يفهم، إنه يخط سطورا لا يمكن رؤيتها، كأنه يكتب بدون مداد، ربما يثبت ما قرأه فى ذاكرته.

هل اقتنع المتخصصون من رجال الأمن؟